

من حبرنا العربي

منذ عشرة أعوام عُقدت معاهدة على جبل « أولب » بين « أبولون » و « كوييدون » تتعلق بي . ولا أعرف على وجه التفصيل نصوص تلك المعاهدة . فلقد كانت معاهدة سرية . ولكن يخيل إلي أن « آله الفن » أراد أن يمتدني من « مناطق نفوذه » ، فخرم على آله « الحب » أن يلقى سهماً واحداً من قوسه الذهبي إلى هذه المنطقة . وقد تبين لي في مواقف كثيرة من حياتي أن آله « الحب » قد احترم حقاً هذه المعاهدة . وفي أحيان أخرى رأيت كأن « كوييدون » ينظر إلى « قلبي » نظرات ملؤها الطامع الاستعمارية ، وأنه يتحين الفرص والظروف . وإله الفن ، كما هو معلوم ، ينادي دائماً بالحرية ، إذ لا فني بغير حرية مكفولة في كل زمان . وإله الحب ينزع إلى السلطة والسيطرة والعنف والتقييد بالسلاسل والأغلال . ولست أدري لماذا يذكرني هذا الصراع بينهما بالصراع القائم بين « إنجلترا » و « إيطاليا » ؟ فاجلثرتا بلد الديمقراطية والحرية ، وإيطاليا رضى الدكتاتورية والسلطة المطلقة . ولقد وقع حديثاً نزاع بين الطرفين ، فأغلقت المعاهدة وألقيت السهام ، وأعلن الدكتاتور أنه افتتح المنطقة « الحرام » . فلم يمتد له منافسه بهذا الفتح . وسارت الأيام سيرها وأنا راض مطمئن اطمئنان « النجاشي » المسكين ، إلى أن قرأت في البريد الأخير أن إنجلترا ستحمل العالم على الاعتراف بالفتح الايطالي « للحبشة » ، فوضعت يدي على « قلبي » وأدركت أن « الحرية » الجميلة ليست إلا حلاً ضميماً تنتظره دائماً أنياب الداء ، وأن « المعاهدات » ليست إلا « محطات » انتظار لساعات الوتوب

توقيع الحبيب

ومحادثته منذ قليل ؛ وكان مستلقياً على فراش المرض ، ولكن كان لغسكه المالي وزعته الحرة في قلبي أثر بليغ . لقد فقدت الهند بفقد إقبال كوكبا لألاء مضيئاً ، ولكن شعره سيخلد في قلوب الأجيال الآتية ، وذكراه العظيمة لن تموت »
وهذا الدكتور محمد عالم يقول :

« لا نستطيع أرض البنجاب أن تخرج إقبالاً ثانياً في عصور طويلة » . ويضيق المجال عن الإكثار من أقوال أعلام الهند في قديم وأرخ بعض الشعراء وفاة إقبال (سنة ١٣٥٧) في قوله :
تاريخ « بور إقبال شاعر مشرق » - كان إقبال شاعر الشرق . وأرخ آخر بقوله : كنه علامة إقبال سوى بهت برين : ذهب العلامة إقبال شطر الجنة العالية .
ترك الشاعر النابغة ابنين وبناتاً وأخاً وثلاث أخوات

- ٣ -

ولد محمد إقبال في سيالكوت سنة ١٨٧٦ م من عشيرة قديمة دخلت في الاسلام منذ ثلاثة قرون ، وكانت تقيم في كشمير ثم اضطرتها الحوادث أن تهجر إلى البنجاب واستقرت أسرة إقبال في سيالكوت وبدأ تعلمه في البلد الذي ولد به ، ودرس على العالم الكبير مير حسن فأذكي في قلبه حب الآداب الشرقية . ثم انتقل إلى لاهور للدراسة العالية فكان من أساتذته السير توماس ارنولد أستاذ الفلسفة الاسلامية . وقد سمعت ارنولد يفخر بأن اقبالاً تلميذ . وفي ذلك الحين شدا إقبال الشعر ، فرجا الناس فيه شاعر أخطيراً . ونال درجة أستاذ في الأدب (M.A) وصار مدرس الفلسفة في إحدى الكليات سنة ١٩٠٥ م سافر إلى أوروبا فتعلم في كبرج القانون ، ثم ذهب إلى ألمانيا فدرس الفلسفة . وبعد ثلاث سنين من خروجه من وطنه رجع إليه مرجواً لأتمه محبباً إليها . وعمل في المحاماة وقصد الناس لا استشارته والاستعانة به في كثير من الأمور التي كانت تهتم المسلمين . وما زال نجمه يسطع ، وصيته يذيع ، وشعره يجوب أرجاء الهند ويستقر في كل قلب حتى اجتمعت قلوب المسلمين عليه ، ورددوا أقواله في خطبهم ومقالاتهم ، وتقبلوه في أعمالهم ، وكأنا أذكر الشاعر البقري في كل قلب جذوة ، وملا كل رأس فكراً ، وكل نفس حرية وعظمة ، حتى مات وكل يشبه به ، ويطمح إلى أن يكون من المهتمين بهديه وسأعود إلى الكتابة عن فلسفته وأدبه ان شاء الله

والله بموض الأمم الاسلامية ويمزجها عن اقبال بالاستجابة لدعوته والسير على أثره
عبد الوهاب عزام